أدافع !

الطائرة الاسرائيلية
العائدة إلى قواعدها سالمة .
تترك وراءَها خطاً أبيض طويلاً
(أطول من شراييني
أطول من أنابيب النفط)
ذلك الخط المتوعِّد كحبل المشنقة
هو البيت الأول في النشيد
أمّا بعد .
فلا وزن يستقيم مع صرخات أطفالي الأخيرة
هل قلتُ أطفالي ؟

لم أزر صور .
لم أتمدد على كرسي القماش المُلوَّن
في شرفة فندق صيداوي
لم أنشد مطلعاً لجماهير بيروت
هل قلتُ أطفالي ؟
أنا المحروم من شرف التفجُّر بديناميت الحب
أنا أسير الحرب المتمتع بحقّ الانتخاب
أنا المواطن المقيم دائماً على مجرود الزبالة
هل قلتُ أطفالي ؟
لتزدرد الأسرارُ أسرارها
كاملٌ هو الوضوح
سلامٌ روحيّ غير منقوض
القصف براً وجواً وبحراً
بيانات الإحتجاج والإدانة
دمى الأطفال
وجماجمهم المتناثرة
تحت جنازير الدبابات المتقنة

الخضرة المتلاشية في الضجيج
وقع الأقدام المرتجفة تحت بقايا الأدوات المنزلية
تكمُش الأكفُ الغضّة على فولاذ البنادق
هل قلتُ ؟
لا أتدخّل في الموازنات الدقيقة
يكفيني دمي ووضعي الدقيق
يكفيني سؤالي الصغير : لماذا ؟!
ولا أكتم سراً .
الوردة للتفاحة
التفاحة للحجر
وأنا أنزف وحيداً
أنزف دمي الثرثار الصادق الحار
أنزف دمي المرهون بالرحمة، مثل عنق طفل
لماذا ؟ لماذا ؟
أدرك معجزتي الخاصة
ولا أكتم سراً .
لم أتوقع هذه الخيبات

ومع ذلك أيها السادة
لن تتمتعوا ببكائي
رغم ذلك
لن أتنازل أيها السادة
اخترتم عذابي
واختار حياتي وموتي
وأنا أعرف كيف أدافع عن خياري الوحيد
أيها السادة
أيها الخنازير ..